

## فصل

اعلم أن بعض أهل التأويل أورد على أهل السنة شبهة في نصوص من الكتاب والسنة في الصفات، ادعى أن أهل السنة صرفوها عن ظاهرها، ليلزم أهل السنة بالموافقة على التأويل، أو المداهنة فيه. وقال: كيف تنكرون علينا تأويل ما أولناه مع ارتكابكم لمثله فيما أولتموه؟.

ونحن نجيب بعون الله تعالى عن هذه الشبهة بجوابين: مجمل ومفصل.

أما **المجمل** فيتلخص في شيئين:

\***أحدهما:** أن لا نسلم أن تفسير السلف لها صرف عن ظاهرها، فإن ظاهر الكلام ما يتبادر منه من المعنى، وهو يختلف بحسب السياق، وما يضاف إليه الكلام، فإن الكلمات يختلف معناها بحسب تركيب الكلام، والكلام مركب من كلمات وجمل، يظهر معناها ويتعين بضم بعضها إلى بعض.

\***ثانيهما:** أننا لو سلمنا أن تفسيرهم صرف عن ظاهرها، فإن لهم في ذلك دليلاً من الكتاب والسنة، إما متصلاً، وإما منفصلاً، وليس مجرد شبهات يزعمها الصارف براهين وقطعيات يتوصل بها إلى نفي ما أثبتته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

وأما **المفصل**: فعلى كل نص ادعى أن السلف صرفوه عن ظاهره.

ولنمثل بالأمثلة التالية:

فنبداً بما حكاه أبو حامد الغزالي عن بعض الحنبلية أنه قال: "إن أحمد لم يتأول إلا في ثلاثة أشياء: الحجر الأسود يمين الله في الأرض. وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع

الرحمن. وإني أجد نَقَسَ الرحمن من قبل اليمين". نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية (ص 398، ج 5) من "مجموع الفتاوى" وقال: (هذه الحكاية كذب على أحمد).

1

المثال الأول: الحجر الأسود يمين الله في الأرض.

والجواب عنه: أنه حديث باطل، لا يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال ابن الجوزي في "العلل المتناهية": (هذا حديث لا يصح). وقال ابن العربي: "حديث باطل، فلا يلتفت إليه". وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (روى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد لا يثبت) اه. وعلى هذا: فلا حاجة للخوض في معناه.

لكن قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والمشهور [يعني: في هذا الأثر] إنما هو عن ابن عباس، قال: الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه. ومن تدبر اللفظ المنقول تبين له أنه لا إشكال فيه، فإنه قال: يمين الله في الأرض، ولم يطلق فيقول يمين الله، وحكم اللفظ المقيد يخالف حكم المطلق، ثم من صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه، وهذا صريح في أن المصافح لم يصافح يمين الله أصلاً، ولكن شبه بمن يصافح الله. فأول الحديث وآخره يبين أن الحجر ليس من صفات الله تعالى، كما هو معلوم عند كل عاقل) اه (ص 398، ج 6) : مجموع الفتاوى:.

2/المثال الثاني: "قلوب العباد بين إصبعين (1) من أصابع الرحمن".

والجواب: أن هذا الحديث صحيح، رواه مسلم في الباب الثاني من كتاب القدر، عن

---

1 أصبع مثلث الهمزة والباء، ففيه تسع لغات، والعاشرة أصبوع كما قيل: وهمز أمثلة ثلث وثلاثة التسع في أصبع واختم بأصبوع، أصبوع بضم الهمزة

عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **"إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء"** ، ثم قال رسول صلى الله عليه وسلم: **"اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك"** .

وقد أخذ السلف أهل السنة بظاهر الحديث، وقالوا: إن لله تعالى أصابع حقيقة، ثبتها له كما أثبتنا له رسوله صلى الله عليه وسلم. ولا يلزم من كون قلوب بني آدم بين إصبعين منها أن تكون مماسة لها، حتى يقال: إن الحديث موهوم للحلول فيجب صرفه عن ظاهره. فهذا السحاب مسخر بين السماء والأرض وهو لا يمس السماء ولا الأرض. ويقال: بدر بين مكة والمدينة، مع تباعد ما بينها وبينها. فقلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن حقيقة، ولا يلزم من ذلك مماسة ولا حلول.

### **3/المثال الثالث:** "إني أجد نَفَسَ الرحمن من قبل اليمن" .

والجواب: أن هذا الحديث رواه الإمام أحمد في المسند من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **"ألا إن الإيمان يمان، والحكمة يمانية، وأجد نَفَسَ ربيكم من قبل اليمن"** .

قال في **"مجمع الزوائد"** : (رجاله رجال الصحيح، غير شبيب وهو ثقة) . قلت وكذا قال في **"التقريب"** عن شبيب: (ثقة، من الثالثة، وقد روى البخاري نحوه في التاريخ الكبير) . وهذا الحديث على ظاهره، والنفس فيه اسم مصدر ينفس تنفيسا، مثل فَرَج يفرج تفريجا وفَرَجًا. هكذا قال أهل اللغة، كما في **"النهاية"** و **"القاموس"** و **"مقاييس اللغة"** ، قال في مقاييس اللغة: **(النفس: كل شيء يفرج به عن مكروب)** . فيكون معنى الحديث: أن تنفيس الله تعالى عن المؤمنين يكون من أهل اليمن. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: **"وهؤلاء"**

هم الذين قاتلوا أهل الردة، وفتحوا الأمصار، فهم نَفَسُ الرحمن عن المؤمنين الكربات "اه (ص 398، ج 6) " مجموع فتاوى شيخ الإسلام: لابن قاسم.

4/المثال الرابع: قوله: تعالى {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ} .  
والجواب: أن لأهل السنة في تفسيرها قولين:

\*أحدهما: أنها بمعنى ارتفع إلى السماء. وهو الذي رجحه ابن جرير قال في تفسيره بعد أن ذكر الخلاف: (وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ}: علا عليهن وارتفع، فدبرهن بقدرته، وخلقهن سبع سماوات) اه. وذكره البغوي في تفسيره قول ابن عباس وأكثر مفسري السلف، وذلك تمسكا بظاهر لفظ {اسْتَوَى} ، وتفويضا لعلم كيفية هذا الارتفاع إلى الله عز وجل.

\*القول الثاني: أن الاستواء هنا بمعنى القصد التام. وإلى هذا القول ذهب ابن كثير في تفسير سورة البقرة، والبغوي في تفسير سورة فصلت، قال ابن كثير: (أي: قصد إلى السماء، والاستواء هاهنا ضَمَّنَ معنى القصد والإقبال، لأنه عدي يالى). وقال البغوي: (أي: عمد إلى خلق السماء) .

وهذا القول ليس صرفا للكلام عن ظاهره، لأن الفعل {اسْتَوَى} اقترن بحرف يدل على الغاية والانتهاى، فانتقل إلى معنى يناسب الحرف المقترن به. ألا ترى إلى قوله تعالى: {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ} حيث كان معناها يَرَوَى بها عباد الله، لأن الفعل {يَشْرَبُ} اقترن بالباء فانتقل إلى معنى يناسبها وهو يروى، فالفعل يُضَمَّنَ معنى يناسب معنى الحرف المتعلق به ليلتئم الكلام.

